الدكتور محمد عجاج الخطيب
الاستاذ المساعد في كلية الشريعة بجامعة دمشق

لمحات
في
المكتبة والبحث والمصادر

المكتبات الاسلامية : نشأتها ـ نظامها ـ فهارسها ـ القائمون عليها ـ أشهرها فيما مضى .
أشهر المكتبات في العالم في العصر الحاضر ـ كنوز المخطوطات العربية .

البحث : أهميته ـ أصوله ـ طرائقه ـ مقومات الباحث أهم عوامل نجاح البحث ـ
مراحل البحث منذ اختيار الموضوع إلى اخراجه .

المصادر : عرض دقيق لحركة التأليف عند علماء المسلمين في مختلف علوم الاسلام
والعربية ، مع دراسة أهم المصادر فيها .

نشر لأول مرة سنة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م بالرياض
نشر للمرة الثانية سنة ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م بالرياض

هذه الطبعة مزيدة ومنقحة

١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م

بيروت ـــ دمشق

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المرسل هدى ورحمة للعالمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعه باحسان إلى يوم الدين .

وبعد فقد اسندت إليَّ عمادة كلية الشريعة بالرياض تدريس مادة « البحث والمكتبة » سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، ليتمرن الطالب على البحث العلمي ، وينطبع على المنهجية التي اتسمت بها أبحاث أسلافنا العلماء ، ويطلع على أمهات المصادر والمراجع في علوم الاسلام والعربية ، وما يلحق بها ... ويحسن الاستفادة منها ، والرجوع إليها ، والانتفاع فتتفتح المدارك ، ويكشف عن الميول ، وتنمى القدرُ ، وتشجع المواهب ، وتتكون الشخصيات العلمية من خلال البحث والعرض والتحليل والاستنباط والمناقشة ... وبهذا تتمازج الآراء وتتميز ، ويسمو التفكير ، ويحسن التعبير ، فينطلق الطالب من الميدان النظري إلى الميدان العملي ، ومن حيز المقعد والمحاضرة إلى عالم المكتبات والمصادر وطرائق البحث ، حيث تتسع الآفاق ، وتمتد ساحات الرؤية أمام ناظريه ... فيحسن الاختيار والمحاكمة والربط ، ورد الفروع إلى الأصول وغير ذلك مما يحتاج إليه في حياته العلمية العملية .

وبدأت التجربة من بابها العملي ، فكنت أحمل بعض كنوز مكتبتنا العربية إلى الفصول - (قاعات المحاضرات) - أضعها بين يدي الطلاب ، ندرسها دراسة عامة ، ونحلل بعض ما جاء فيها ، وأبين منزلة كل كتاب

بين كتب العلم الذي صنف فيه ، كما كنا نرتاد مكتبة الكلية أحياناً نعيش بين أمهات المصادر والمراجع ، تمر الساعات العديدة من غير أن نشعر بها ، ونحن نستطلع وندرس ، ونوازن ونناقش ، ونقارن ونعارض ، وكثيراً ما كنت أوزع الطلاب في مجموعات ، أضع بين يدي كل مجموعة ما ينوبها من المصادر ، ونشرع في التطبيق العملي – بعد بيان خطة البحث ... – باستخراج ترجمة عالم تارة ، أو الوقوف على مواضع حديث تارة أخرى ، أو معرفة مواطن موضوع .. وغير هذا ... فانتقل الطلاب من التلقي والسلبية ، إلى المشاركة والايجابية ، فكنت ترى الحياة والنشاط ينبعثان من من تلك المجموعات ، والبشر يعلو صفحات الوجوه حين تدرك مجموعة بغيتها قبل غيرها ، وتعم السعادة النفوس ، وتثلج الصدور للمحاورات والمناقشات العلمية الرفيعة المنظمة ، التي كانت تدور بين براعم العلماء ... وإلى جانب هذا كان يقوم بعض الطلاب باعداد دراسات وافية تتناول بعض الكتب ، أو فصولاً أو فصلاً من كتاب ، أو موضوعاً ذا أهمية علمية .. ثم يلقونها على زملائهم ، ويردون على أسئلتهم ويحسنون النقاش فيها ..

لقد عشنا أياماً علمية طيبة ، فكان الطلاب يتعطشون إلى حصص هذه المادة ، كما كنت أرتقبها من بين الحصص لأطالع طلابي بكل جديد ، لقد كانت حصصاً حية عملية ، تجتذب الحريص على العلم بسحرها وكنوزها ، وتنوع فنونها ، وتعدد موضوعاتها ...

وكان لا بد من منهاج يحدد الطريق ، ومن غاية واضحة نقطف ثمارها ، عاجلاً أو آجلاً ، فالتزمت منهجاً لهـــذا المقرر ، يدور بين المحاضرات النظرية والأبحاث العلمية ، والدراسات التطبيقية ، يشمل أصول البحث ، والمكتبة ونظامها ، والمصادر بأنواعها .. فاستحسن المسؤولون في كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض هذا المنهاج ، مما شجعني على المضي في تنفيذ تلك الخطة ، والتزمت بوضع المادة العلمية بين يدي الطلاب ليتضح السبيل أمامهم ، وتسهل المذاكرة عليهم ، واجتهدت ما وسعني الاجتهاد في وضع أصول هذا الكتاب بين يدي

الطلاب خلال الشهور الاولى من ذلك العام الدراسي ، فتم ذلك بفضل الله عزوجل وعونه ، وما أن ظهرت تلك الأصول حتى تلقفها الطلاب من مختلف الكليات ، وانصرم العام الدراسي ، وطالعنا عام ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ ، فلم تتح لي فرصة لتنقيحها والزيادة عليها ، فنشرت تلك الأصول ثانية على حالتها الأولى ، وما أن أطل صيف عام (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) حتى أعطيت هذا الكتاب وقتي ، ووقفت له نفسي ، ليخرج بهذا الثوب ، وقد جعلته في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المكتبة : عرضت فيه لمكانة العلم في الاسلام وأثره ، فبينت ابتداء تدوين العلم ، ووضحت أهداف المكتبة وآثارها التربوية ، وتحدثت عن نشأة المكتبات الاسلامية ، وعن أشهرها فيما مضى ، ثم عرجت على ذكر أشهر المكتبات وأهمها في العالم في العصر الحاضر ، وبينت كنوز المخطوطات العربية في المكتبات العربية والأجنبية ، وتحدثت عن نظام المكتبة قديماً وحديثاً ، وعن القائمين عليها ، والمسؤولين عنها ، كما فصلت القول في فهارسها وطرق الاستفادة منها بكل يسر وسهولة .

وفصلت القول في الفصل الثاني (البحث وأصوله) في أهمية البحث العلمي وأصوله ، ومقومات الباحث ، وأهم ما يأخذ بيده إلى التقدم والنجاح، ووضحت أثر المنهجية العلمية في نجاح البحث ، كما فصلت القول في مراحل البحث منذ اختيار الموضوع إلى استوائه وتكامله واخراجه ،بما ينير السبيل للباحثين ويساعدهم في اعداد أبحاثهم ، ويوفر لهم وقتهم وطاقاتهم .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته لأهم المصادر والمراجع في علوم الاسلام والعربية . . . فتتبعت حركة التأليف عند علماء المسلمين ، في أمهات العلوم الاسلامية وفروعها ، وآداب العربية وفنونها ، وعلوم اللغة وصنوفها ، وحرصت على أن أعرض لأهم المصادر القديمة في كل علم ، وأن أربط الحديث بالقديم ، واللاحق بالسابق ، لأن المتأخر طريق إلى المتقدم ، ومفتاح له ، ومثل هذا التتبع

التاريخي يحتاج إلى جهد كبير ، ووقت طويل ، فتتبع ما تنتجه قرائح العلماء والمفكرين ليس بالأمر السهل ، وإن كثرت وسائل النشر والاعلام ، فإن بين ما ينشر وبين ما يُطلع عليه مفاوز كثيرة ، كبعد الآفاق ، وعدم كفاية التوزيع ، وبطء ادخال المطبوع في فهارس المكتبات العامة ، وغير ذلك من الصعاب التي تحول دون الاطلاع على كل جديد ، ولا يستطيع الكاتب أن يخط كلمة حول كتاب ما لم يطلع عليه ، ويوازنه بما سبقه ولحقه ، حتى يحسن الحكم عليه ، والقول فيه .. وهذه أمانة تفوق الأمانة في المال والمتاع .. وقد رأيت أني في عملي هذا ـ رسول القراء إلى كل جديد ، ومن حقهم عليّ أن أتبع كل حديث في بابه ، لكل هذا لم أدخر وسعاً في سبيل هذه الغاية ، ومن ثم اضطررت إلى ذكر بعض الكتب التي تأكد لي وجودها تحت الطبع في أكثر من بلد عربي .

ومع هذا فإني لم أقصد استيعاب جميع المصادر ، بل اخترت من كل علم عدة كتب ، فعرضتها عرضاً علمياً تاريخياً دقيقاً ، وعرفت بها ، ولم أتجاوز ذكر الكتاب ومؤلفه وعصره ، وأهم مزاياه ، ومنزلته بين كتب العلم الذي صنف فيه ، واكتفيت بذكر بعض الكتب مع مؤلفيها ، من غير أي تعليق عليها ، تاركاً للطلاب تقييمها والرجوع إليها. وقد وجدت نفسي أمام ثروة علمية عظيمة ، تنطق بجهود السابقين ، وتحكي على مر الزمان قصة ذلك المجد التليد ، الذي بناه علماؤنا بالعلم والدأب المستمر ، فأسهموا في تشييد صرح الحضارة الانسانية اسهاماً لا يدانيه اسهام أمة من الأمم ، في مختلف الميادين العلمية ، وبهذا فتحوا عيون العالم على المعرفة ، وشقوا أمام الأجيال طريق الخير والسعادة .. إنها ثروة علمية ضخمة يعجز البيان عن وصفها ، وإن ما ذكرته من مصنفات لا يعدو غيضاً من فيض ، وقيلًا من كثير . ولو أني أعطيت كل كتاب حقه من مني النفس ، وتركت للقلم عنانه ، لأضحى هذا المؤلف أضعاف حجمه . وقد جعلت هذا الفصل في ثلاثة عشر مبحثاً هي :

١ ـ القرآن والتفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية .

٢ ـ الحديث وعلومه .
٣ ـ السيرة النبوية .
٤ ـ العقيدة والفرق .
٥ ـ الفقه .
٦ ـ أصول الفقه وتاريخ التشريع .
٧ ـ التاريخ الاسلامي والتراجم .
٨ ـ حضارة الاسلام .
٩ ـ حاضر العالم الاسلامي .
١٠ ـ اللغة والأدب .
١١ ـ كتب جامعة ، وكتب في دراسات اسلامية .
١٢ ـ معاجم البلدان .
١٣ ـ مراجع المراجع .

وجعلت كل مبحث في عدة فقرات ليسهل العرض والتصنيف ، وألحقت بالكتاب عدة فهارس تيسر الاستفاد منه .

ولربما فاتني أمر يرى غيري وجوب ذكره ، فلا بأس بأن يذكرني به ، لأستدركه في طبعة قادمة إن شاء الله ، وله مني الشكر والتقدير ، فهذا تراث أمتنا يجب أن نتعاون في الحفاظ عليه والكشف عنه ،وإذا كتب لي بيان جانب من العلوم الانسانية من هذا التراث الخالد ، فإن جانب العلوم العملية منه بحرٌ واسع لا يدرك غوره ومنتهاه ، وقد شق عبابه أكابر علمائنا السابقين في الطب والكيمياء والفيزياء والصيدلة والفلك والرياضيات والهندسة وغيرها ، وقد حازوا قصب السبق في هذا الميدان ، وتربعوا اساتذة للغرب عدة قرون ، وبقيت مؤلفاتهم مصادر أصيلة في أمهات جامعات أوربا حتى مطلع القرن الماضي ، وكانت أبحاثهم ونظرياتهم أساساً للأبحاث العلمية الحديثة ، وقد اعترف بهذا

المنصفون من العلماء المعاصرين في الشرق والغرب ، لكن بريق الحضارة في هذا العصر خطف أبصار بعض الناشئين فظن أن أمته منبته لا جذور لها في ميادين العلم والتقدم ، وأن الحضارة والعلم إنما هو صنيعة رجال هذا العصر ، فتنكر لأمته ولماضيها ، وظن أن واقعه المتخلف إنما هو نتيجة لماضيه ، ولَبّس عليه هذا دَسُّ أعدائنا ، وتشويههم لماضينا العظيم المشرق ، وفاته أن أمتنا قد قادت مركب الانسانية إلى الخير والسعادة والسلام قروناً طويلة ، يوم كان غيرها من الأمم في عصور الجهل والظلام ، وأن أكابر علماء تلك الأمم قد تربعوا بين يدي أجداده العلماء ، يعبون من معينهم ، وينهلون من مشاربهم .. وأنه لولا ما قدمه علماؤنا السابقون في الميادين العلمية المختلفة لما أدرك أبناء هـذا القرن عشر معشار ما أدركوه إلا بعد فترة من عمر الزمن ، فما على هؤلاء الذين عميت عليهم حقيقة تاريخهم وأمجادهم إلا أن يعرفوها معرفة واضحة لتكون لهم رائداً ومناراً ، في طريق بناء المستقبل ، كما أهيب بكل عالم ممن يستطيع الكشف عن عظيم تراثنا ، ومجيد انتاجنا أن يدلي بدلوه ، ويضرب بسهمه ، خدمة لحضارتنا ، ولأجيالنا الصاعدة قبل أن يضرب التيه على القلوب ، وتنقطع بهم الدروب ، بين حاضرهم وماضيهم ، فلا يحسنون تثبيت الأقدام في طريق مستقبلهم .

وأخيراً ، أرجو أن يكون عملي هذا خالصاً لوجه الله ، داعياً المولى عز وجل أن يحقق الغاية المرجوة من هذا الكتاب ، وينفع به طلاب العلم وأهله ، إنه خير مسؤول ، وهو ولي التوفيق والسداد .

٢ رجب ١٣٩١
٢٢ آب ١٩٧١

محمد عجاج الخطيب